وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلَّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما أضعف قواهُ وهدَّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبّى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان (لهُ بقيَّة)

السرّ المَصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني (تابع)

الباب الثاني

رواق الماسونية

بعد وصفنا لواجهة الماسونيَّة المحلاَّة بأزخرف الباطل خُدع السذَّج والاغرار هيَّا بنا نتخطَّى خطوةً أولى فندخل في رواق تلك الدار ولعلَّ الحجَّاب يمنعوننا عن الدخول اذ لا علم لنا بالشعار الماسوني والكلمة السرّيَّة ولا بأس فانَّ احد « الجزويت » الذين ادَّعى شاهين بك مكاريوس (المشرق السابق ص ١٥٢) انهُ رآهم في المحافل الماسونية واعتبرهم كجواسيس يُطلعنا على السرّ المصون فندخل في جملة الداخلين . والكلمة السرّيَّة هذه المرَّة هي « حرّيَّة الضمير » امَّا السلام الماسوني فمصافحة خاصَّة يضغط فيها الأخوان بالابهام على اليد بعضها

وها قد اجتمع بعد حين الاعضاء المنتظرون فدَعْنا نتعرَّف بهم ففي معرفتهم افادة فاذا هم بين الرؤساء الاخ ٣٣ . المعروف بجحودهِ للاهوت وبنبذهِ لكلّ دين . والاخ ٣٣ ب . المحامي الذي لا يدخل بيتاً الَّا سبَّ الاكليروس ونسبهُ الى الغايات السافلة . والاخ ٣٣ د . . . الطبيب المادّي الذي لا يقرّ بوجود نفس مجرَّدة فينتهي كل شيء على رأيهِ بحياة الدنيا وموت الجسد . والاخ ٣٣ ر . القائل بالمذهب الدروينيّ وتسلسل الانسان عن القرد . والاخ ٣٣ ع . الكاتب النوضريّ المدافع عن مبادي الاشتراكيين والناكر لكل سلطة

ورأينا هناك عدّة شبّان من المدّعين بالتمدّن العصريّ والمنتمين الى « الروح الجديد » منهم صنّاع مخازن وكتبة في محلّات تجاريّة وطلبة مدارس انجزوا دروسهم فقصدوا الماسونيّة رجاء ان ينالوا بشفاعتها وصاةً الى بعض المتموّلين. ومنهم فتية في مقتبل العمر يرجون من انصار الحرّيّة ان يخفّفوا عن اعناقهم نير الواجبات الدينيّة ويفتحوا لهم طريق الملاذّ والشهوات الباطلة دون رادع يكبحهم ولا ضمير يزجرهم

فسألت « الجزويتي الجاسوس » كيف يجذب الماسون هؤلاء الشبّان فيوقعوهم في اشراكهم ؟ ففتح لي كتاباً سرّيًا للاخ ... كلافل (Clavel) كان معهُ فقرأت فيهِ ما تعريبهُ بالحرف (١ :

« ان اراد اخوتنا الماسون ان ينظموا احدًا في شيعتنا الماسونيّة فليصفوهـا لهم وصفًا شائقًا قائلين لهم انها جمعيّة خيريّة غايتها التمرّي وان اعضاءها اخوة يعيشون بالوداد والمساواة . . . وانّ الماسوني وطنهُ المعمورة كلها فليس مكان في العالم الّا ويلقى اخوةً يتسابقون في اكرامهِ ومساعدتهِ ادى معرفتهم انهُ من شركتهم وبمجرّد استعمالهِ للشعار السرّي والمصافحات الجارية في العائلة الماسونيّة . وان رأوا احدًا يحبُّ الفضول ويتوق الى معرفة الاسرار فليقولوا لهُ انّ في الماسونيّة اسرارًا لا يعرفها غيرهم . وان عثروا على رجل يطلب رفاهية الحياة فليذكروا لهُ انّ في الماسونيّة مآدب متواترة يرشفون فيها بنت الحان ويأكلون المآكل الطيّبة توثيقًا لمروة الحبّ والمؤاخاة . وان كان المقصود ادخالهم في الماسونيّة من اهل الصناعة والتجارة فليثبتوا لهم انّ الشركة الماسونيّة تفيدهم في اربابهم وتوسّع نطاق اعمالهم وتنمّي عدد زبائنهم وقس على ذلك بقيّة الناس فعلى الماسوني ان يقدّم لكل واحد من الادلّة الموافقة لحالتهِ وحرفتهِ وعقلهِ وامالهِ فيجذبهُ بما هو اوفق لمقتضى الاحوال »

وكان في الكتاب منشور لاحد انئمّة الماسون يُرسل سرًّا الرؤساء المحافل الماسونيّة فقرأت فيهِ ما تعريبهُ الحرفيّ (٢ :

« عليكم خاصّةً بالشبيبة فلا تدّخروا وسعًا لكي تجتذبوها الى جماعتنا الماسونيّة بطريقة خفيّة لا يشعر بها الشبّان لئلّا ينفروا عنّا »

فاخذني العجب من هذا المكر الفظيع الذي لا يخجل الماسون ان يلتجئوا اليهِ في ادراك غاياتهم السيّئة ثم أدرت الالحاظ في الفرقة التي اجتمعنا فيها فاذا هي موشّاة

---

١) اطلب تاريخ الماسونية الخ ... كلافل Histoire pittoresque de la Franc-Maçonnerie, p. 3 et 8

٢) هذا المنشور ابرزهُ بالطبع المؤرّخ المدقّق كرانيو جولي (Crétineau- Joli) في كتابهِ عن الكنيسة الرومانية والثورة (ج ٣ ص ١ و١٤)

بالاقمشة الزرقاء وفي الصدر من جهة الشرق كرسي الرئاسة وامامهُ طاولة عليها مطرقة (شاكوش) وعلى الكرسي رجل جالس في تمام الكبرلة . ووراءهُ شبه الهيكل ومعلّق على الجدران عدّة رموز كالمثلث والزاوية والبيكار والميزان وخيط الشاغول وبعض النقوش الرمزيّة وفي مقدّمة الهيكل عمودان مزدانان بالحليّ على الواحد حرف ب والآخر حرف ج وهما على قول الماسون اوّل اسمَيْ بُعوز وجاكين ويزعم بعضهم انهما يشيران الى عمودي النار والسحاب اللذين سخّرهما الله لبني اسرائيل في طريقهما وهم يرون انّ الملك سليمان امر بوضعهما عند مدخل الهيكل الاورشليميّ تذكارًا لبني اسرائيل . اما الصادقون منهم فيؤوّلونهما تأويلًا آخر شتّان بينهُ وبين عمودي بني اسرائيل وهيكل سليمان فاسمع وتحقّق خُبث الماسون . قال الاخ ٣٣ راغون (١ ما تعريبهُ (:

« انّ عمودي جاكين وبُعوز يدلّان على المبدأين المتضادّين (يريد مبدأيْ مانى) النور والظلمة والخير والشرّ وعلى مبدأي الحياة النسلية (phallus) . فانّ غاية تعليم الماسونية انما هو وجود ذينك المبدأين المتنافيَين كما تراهما في تاريخ الشعوب كجهاد انيس وميثرا وكهرمزد واهريمان وكاوزيريس وتيفون وكالسيح والشيطان فانّ كل ذلك انما هو الجهاد الدائم بين النور والظلمة . . واما معنى هذه الرموز فالمُراد به الكبرياء والعظمة والخرافات والمراء والكذب والجهل والاوهام وظلمات النفس »

فما ابعد هذا الشرح عن اقوال شاهين بك مكاريوس في كتابهِ الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٦٤) حيث شرح معاني العمودين على خلاف هذه الشروح فمن نصدّق ؟ الاخوين راغون وكلافل او شاهين بك مكاريوس الذي يصف الماسونيّة بألوان الزخرفة والزيف تمويهًا على الشرقيين؟

ورأيت ايضًا في جدران المحفل شبه الشمس والقمر والكواكب ولمّا استعلمتُ اخي « الجزويتي الجاسوس » عن معناها الرمزي المصطلح عليهِ بين الماسون اشار اليَّ في كتابهِ الى بعض الصفحات التي ورد فيها شرح تلك الرموز فقرأتُ ما تعريبهُ للاخ راغون ٣٣ السابق ذكرهُ (٢ :

« انّ الشمس والقمر اللذين يزيّنان هياكلنا يراد بهما سُنن الطبيعة التي عليها مبنى الماسونيّة فانّ معرفة هذه السُّنن الثابتة هي التي تسوق بالماسون الى ذروة الهيئة الاجتماعية . وكل ديانة لا تستند الى هذه نواميس الطبيعة هي مخالفة للكون ومربية الطب »

---

١) اطلب كتابهُ في الفلسفة الماسونيّة ورموزها ص ٨٨ و ١٠١ ومثلهُ الاخ ٣٣ كلافل في كتابهِ المذكور ص ٧٥ و ١٤٣ الخ ٢) من كتابهِ السابق ص ٩٨

ففهمتُ من كل ذلك انّ الماسونيّة في رموزها وصورها وهيئة هياكلها لا تنوي سوى امر واحد وهو تأليهُ المادّة وتعظيم الطبيعة الميولّية

ثم شخصت الى الاخوة الماسون فاذا هم لبسوا مآزرهم المثلّثة ووشاحاتهم الخاصّة وجعلوا على صدورهم البركار والزاوية فاردت ان افهم معنى ذلك المثلث فاستفتيتُ الاخ ... راغرن فقرأت في كتابه ما تعريبهُ (ص ١٥٨)

« انّ العدد المثلث هو احسن الرموز عن الطبيعة فانّ زواياهُ الثلاث تدلُّ على مواليد الطبيعة الثلاث التي يتكوّن من مجموعها الله او الطبيعة . وفي وسط المثلث حرفا ي (ignis) وج (God) ومعناهما الروح المحيي اي النار والله اي الطبيعة الواحدة

الباب الثالث

الدرجات الماسونيّة الثلاث السُّفلى

الدرجة الاولى : الطالب

وكان في ذلك اليوم أُعدَّ المحفل لقبول احد طلّاب الدخول في الماسونيّة . فلمّا انتظم عدد الاخوة وجلس كل منهم في محلّهِ ورتبته وشاراته . وقف الاستاذ الاعظم وطرق مرّة بالمطرقة التي بيده قائلًا : ساعدوني يا اخوتي على فتح المحفل (١ . فوقف الجميع وتقلّدوا السيوف . واخذ الاستاذ الاعظم يُلقي على اخيهِ الحاجب وعلى اخويهِ المنتبهين وعلى نائب الاستاذ اسئلة مضحكة ان لم تنقل صبيانيّة من جملتها سؤالهُ للنائب :

س اين موضع الاستاذ الاعظم ؟

ج في الشرق

س وفي مقام مَن هو ؟

ج في مقام الملك سليمان

فكدتُ استغربُ ضحكًا لولا انّ « الجزويتي الجاسوس » زجرني فغضضتُ على شفتيّ بازاء قائم مقام الملك سليمان والمتختّم بخاتمهِ لسحر الجنّ . ثم انتظرتُ فدقّ ثلاث دقّات ومثلهُ فعل المنتبهان فقال : «باسم مهندس الكون الاعظم أُعلن فتح المحفل الاكبر» فيسمعي اسم مهندس الكون علمت انّ محفلنا البيروتي لم يخلع بعد تمامًا ربقة المراء (٢

---

١) اخذنا هذه الاوصاف من كتب الماسونيين الاوربيّة والشرقيّة ممّا لم ترد عليها حرفًا

٢) قد قرأنا في عدد شباط الاخير من المقتطف (ص ١٥٨) انّ كثيرين من الماسون الشرقيين طلبوا الغاء هذه البقايا الدينيّة . وقد بيّنا سابقًا انّها قشرةٌ يتستّر وراءها الماسون فالأولى بهم ان يجاهروا بأفكارهم دون مراء ومحاباة

وكان ذلك اليوم مخصّصاً « بتكريس » (كذا) طالب الدخول في الدرجة الاولى. فهنّأت نفسي بحضور هذه الحفلة الشائقة لأصفها عن عيان. ولهذه الحفلة مقدّمات طويلة وهي اسئلة واجوبة وتفتيش وطرق مطارق وتهيئة بعض التهاويل. وكان جاء المحفل رئيس محفل آخر فقام الاخوة وسجدوا اسلحتهم ومدّوها على شبه قنطرة سلاحيّة مرّ الزائر تحتها تعظيماً لمقامه واجلسوه في الشرق وجلس الكلّ فاندفع الاستاذ الاكبر في الاسئلة التي لا تقلّ عن سبع صفحات في الكتاب الرسميّ الذي عُني بطبعه سنة ١٩٠٥ في مطبعة المقتطف « شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليميّ ورئيس اعظم شرق العقد الماركي بالبنويس... الخ الخ الخ ». (وليعذرنا الاستاذ عن الاقتصار في ذكر القابه الماسونية التي تستغرق خمسة عشر سطراً من قطع هذه المجلّة). ودونك بعض الاسئلة التي رواها جنابه ليعرف جمهور القرّاء كم هي سامية اسرار الماسونية

الرئيس: ما هو اوّل واجب في المحفل يا حضرة المنبّه الاوّل ؟

ج : التحقّق اذا كان المحفل مغلقاً

الرئيس: تأكّدْ ذلك يا اخي

المنبّه الاول: اخي الحارس الداخلي انظر اذا كان المحفل مغلقاً

فيذهب الحارس الداخلي الى الحارس الخارجيّ وينظران هل الابواب موصدة ويعود فيطرق بطرقتين ثلاث مرّات ويجيبُ الحارس الخارجي بالمثل فيقول: اننا مستترون يا حضرة المنبّه الاوّل

فيكرّر المنبّه الاول: اننا مستترون يا حضرة الرئيس المحترم

الرئيس للمنبه الثاني: ما هو الواجب الثاني يا اخي المنبّه الثاني ؟

ج: ان يكون جميع الحاضرين بثلاثين احراراً

ر: ايها الاخان (كذا) المنبّهان انظرا اذا كان جميع الاخوان على صفّكما احراراً

وهنا خفتُ ان يعلم بي المنبّهان لكني بفضل « الجزويتي الجاسوس » نجوت من هذا التفتيش. فطرق المنبّهان بطرقتهما واعلما الرئيس بوجود ثلاثين احراراً ليس الّا. فاستحسن الرئيس قولهُ وواصل الاسئلة على الموظّفين فعلمتُ من اسئلته انّ الموظفين ما عدا الرئيس والمنبّهين ونائب الرئيس هم الحارسان الداخلي والخارجي والمرشدان. وممّا سألهُ الحارس الخارجي قولهُ:

س: اين محلّ الحارس الخارجي ؟

ج : خارج باب المحفل

س: وما الواجب عليه ؟

ج : ان يكون قابضاً سيفاً مسلولاً (مثل ملاك الموت) ليمنع تجسّس الاعداء ويردع الذين يريدون في الاطلاع على اشغالنا ويلاحظ قصد طالبي الدخول

وتمّ بقيّة الاسئلة على هذا الطرز الجليل وكان ختام هذه المقدّمات « انّ الرئيس المحترم طرق ثلاث طرقات بالمطرقة وجاوبهُ عليها النبهان والحارسان. ثم تقدّم الرئيس وفتح كتاباً (وهو على قولهِ الكتاب المقدّس. ومن المعلوم ان الماسون لا يعتقدون الاسفار المنزلة. واليوم قد ابطلوا استعمالهُ حتى في بعض محافل الشرق لوجود مسلمين بينهم) ووضع الزاوية والبرجيل (البيكار) حسب الاصول ثم اقام المنبّه الاوّل عمودهُ ووضع المنبّه الثاني عمودهُ انقيًا وجلس الاخوان »

ثم تلوا خلاصة اعمال الجلسة السابقة. وابدى بعضهم فيها ملاحظاتهم ثم صادق عليها الاخوان برفع اليد اليمنى. ثم اداروا كيس الاوراق السرّيّة على الحضور وتُليت المراسلات الواردة للمحفل امّا المراسلات السرّيّة التي ارادوا اخفاءها عن ذوي الدرجة الأولى فسلّموها الى كاتب الاسرار

وبعد انهاء الاشغال والقاء بعض الخطب في مواضيع ماسونيّة كالخيريّة وكسر نير الأكليروس وخفض شأن الاعيان اجالوا صندوقين لجمع حسنات الاخوة يدعونهما « صندوقي الاحسان والبناء ». وقد لحظتُ ان جودهم الحاليّ لم يتجاوز بعض متاليكات طلبوا بها لمّا رموها في قعر الصندوق

وبعد هذا أُتي بالطالب (١ وعلى عينيهِ غمّى (كذا. اي رباط) وقادهُ احد الاخوان الى غرفة التفكير وهي غرفة مظلمة مغطّاة بالسواد على جوانبها رموز مخيفة كجحيم وهياكل موتى واسلحة ومكتوب عليها عبارات تهديد لم يذكرها الاستاذ شاهين بك مكاريوس لئلّا ترتعد لها فرائصنا وانّما ذكرها الاخ ب. كلافل (Clavel) وهذا تعريبها: « ان كنت ذا مراء قادرًا على الخنا فاعلم انّك ستُكشَف — ان كنت تطلب الامتيازات الشرفيّة فاخرج اذ لا نعلم بها بيننا — ان طلبنا منك اعظم التضحيات افأنت مستعدّ للطاعة » وغير ذلك ممّا يبيّن انّ الطاعة العمياء بين الماسون وليست بين «الجزويت» كما

١) كلّ هذا الوصف تأخذهُ بالحرف من كتاب شاهين بك مكاريوس « الدرجة الاولى للماسونية » وانّما لخصناه فقط

زعموا . اما الاخ ٭ . الذي قاد ذلك الاعمى وهو يُدعى الاخ المهيب (او الاخ الفول) (Fr. ٭ . Terrible) فاخذ بيد طالبنا (المجهول) ودفعهُ على باب الغرفة المظلمة وكان الباب من الورق السميك فتزقّ وهبط هو الا انّ اخوين ٭ . تلقّيا الصريع بين ذراعيها المصلّبين وسُمع صوت اغلال الحديد كأنهُ يُغلّق عليهِ فبقي وحدهُ وازال البرقع عن عينيهِ فوجد نفسهُ في تلك الغرفة المظلمة واذا بنور ضعيف تراءى لهُ فرأى محتويات الغرفة وقرأ الآيات المبهجة المارّ ذكرها

وبعد هنيهةٍ عاد الاخ (الفول) وقدّم للطالب دفتر التعهُّدات فاقرأهُ اياهُ واخذ وعدهُ بحفظها ثم سألهُ عن اسمهِ واسم اهلهِ ومولدهِ وصناعتهِ ومنزلهِ وديانتهِ فكتب كل ذلك (في دفتر النفوس) وامضاهُ باسم الطالب

ثم جاء احد المرشدَين واخذ ما وجد مع الطالب من المعادن والنقود والحلى وربطها بمنديل والقى الى الشرق فسلّمها للمحترم بطرف الحسام . ثم نُزعت عن الطالب ملابسهُ التي فوق قميصهِ وكُشف ذراعهُ الايمن وصدرهُ وعنقهُ وساقهُ اليسرى الى الركبة ووُضع في رجلهِ اليسرى بابوج (حذاء) وفي عنقهِ حبل وحجاب على عينيهِ (ثانية) وأُتي بهِ على هذه الحالة الى باب الهيكل فأعلن مجيئهُ بثلاث طرقات فتقدّم الحارس الداخلي الى جهة المنبه الثاني وقال لهُ : ان الباب يُطرَق . فأعلم المنبه الثاني الرئيسَ المحترم بذلك

وهنا ابتدأت مباحثة بين الرئيس والمنبه والحارسين الداخليّ والخارجيّ عن طالب الدخول وحالهِ وسيرتهِ (بالمعنى الماسوني) فكان الجواب انهُ « طالبٌ في حالة الظلام » (ولا غرو اذ هو معصوب العينين او بالحري اعمى القلب) ثم اردف قولهُ بأنهُ جاء يطلب النور (!) بقبولهِ ضمن عشيرة البنائين الاحرار (؟) . فسمح الرئيس المحترم بدخولهِ

فما قدم بهِ المرشد الى الباب حتى قابلهُ الحارس الداخلي بسيفهِ مسلولًا فوضعهُ على عنقهِ قائلًا : بماذا تحسّ ؟ . فاجاب : بنصل سيف . فتهدّدهُ الرئيس قائلًا بانّ هذا السيف سينتقم منهُ ان كان ليس مخلص النيّة لجماعة الماسون

ثم عرض عليهِ الرئيس الاقرار بمهندس الكون الاعظم وبالخلود . الّا اني راجعتُ الكتاب الذي اعارني اياهُ « الجزويتيّ الجاسوس » فقرأتُ فيهِ للاخ ٭ . كلافل انّ الاقرار بوجود مهندس الكون والخلود قد أُلغي في اكثر المحافل وانما ادخلوهُ سابقًا لئلا ينفر الناس من كفر الماسون وكذلك الامر في بعض البلاد قليلة التمدُّن (كبلاد

سوريَّة حيث يعتقد الناس وجود الله وخلود النفس). راجع ما قلنا سابقاً في هذا المعنى

وبعد هذا امر الرئيس الطالب ان يركع واستلَّ المرشدان سيفيهما فجعلاهما على رأس الطالب وتلا الرئيس دعاء الى مهندس الكون لم يبق لهُ من اثر في اغلب المحافل الماسونيَّة اذ لم تعد تحتاج هناك الشيعة الى التستُّر. وما التجأوا سابقاً الى مثل هذه الادعية الَّا ليتقلَّدوا الكنيسة الكاثوليكيَّة في رتبها الكهنوتيَّة وقد قال احد مشاهير الكتبة « انَّ الشيطان ترد الكنيسة فيحاكي للشرّ ما يراهُ من اعمال الكنيسة للخير ». فتأمَّل

ثم ابتدأت امتحانات الطالب الرمزيَّة فوجدتها من اظرف خزعبلات الصبيان وها انا اصفها كما رأيتها وكما تجري في كل المحافل الماسونيَّة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

I A. Krymsky: Jstorija Persii i jeja literatury. *Moskwa*, 1909, pp. IX-92. تاريخ الفرس وآداب لغتهم والتصوُّف عندهم

II A. Krymsky: Jstorija Turcii i jeja literatury. *Moskwa*, 1910, pp. XIII-104. تاريخ الترك وآداب لغتهم في عهد عظمتهم

لا يخفى على قرَّاء المشرق الكرام ما لمدرسة الالسنة الشرقيَّة المعروفة باسم مؤسِّسها لازاريف في موسكو عاصمة روسيا السابقة من السعي والاهتمام في نشر الابحاث والكتب المتعلِّقة باحوال الشرق الحاضرة والغابرة فانَّ هذه المجلَّة اغلقت مطبوعاتها في سنيها الماضية (راجع ٤ : ١٧٥ و ٧١ = ٥ : ٥٣٦ = ٦ : ٠٠ : ١٨ = ٧ : ١٦٠ = ٩ : ١٠٥٩ = ١٠ : ٦١٧) واليد الطولى في كل الابحاث عن شرقنا الادنى للاديب كريمسكي الذي اقام في بيروت حيناً من الزمان قبل مدَّة عشر سنوات ثم جُعل استاذاً للعلوم العربيَّة وتاريخ الشرق في المدرسة المذكورة. فانَّ جنابهُ يتحفنا حيناً بعد حين بمؤلَّفات من نفثات قلمهِ يعرف قرَّاء الروسيَّة مكانها الجليل بين كتب المستشرقين الروسيين. وممَّا وصل الى ايدينا اخيراً كتابان لهُ في تاريخ الفرس وتركيا جمع الاستاذ فيهما محاضرات القاها على تلامذتهِ في المدرسة المشار اليها. والكتاب الاوَّل عبارة عن